

العلاقة بين أبي تمام والبحتري بين الوهم والحقيقة

م. د. وسام عليّ محمد الخالدي

كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

ملخص بحث

ولما كانت العرب والعراق بلد الشعر والشعراء ولها الفضل في إنجاب أكبر شعراء العربية أبو تمام والبحتري شاعران عربيان طائيان (عباسيان) اضافة للقصيدة العربية ملامح جديدة ، وقد شغلت صحبتها أقلام الدارسين والباحثين . وأن من يستقري حياة الشاعرين سيجد أن حياة أبي تمام تتميز عن حياة البحتري على الرغم من عيشهما في عصر واحد.

إن العلاقة بين الشاعرين لم تكن موضع عناية الباحثين ، بل انصب اهتمام النقاد والدارسين على شعر الرجلين لذا فان هذه الدراسة اخذت على عاتقها تسليط الضوء على تلك العلاقة بوصفها محورا لها.

ومن خلال النظر في تاريخ هذه العلاقة نجد أن الصولي (ت : 335هـ) هو أول من أشار إليها في كتابيه (أخبار ابي تمام) و(أخبار البحتري) ، وجاء بعده الاصبهاني (ت : 356هـ) ، ثم الامدي (ت 370هـ) وبعدهم الحصري (ت : 453هـ) وابن رشيق القيرواني (ت : 456هـ) . لذا فإن جمع اشتات هذه الروايات واطالة النظر فيها يؤكد استنتاجا مفاده أن الصحبة كانت مفترضة وهي من نسج الرواة أو النساخين ، وهذا ما خرجت به هذه الدراسة الموجزة عبر محورين هما:

الأول : عرض الروايات حسب تسلسلها التاريخي أو (الزمني) منذ الاقدم فالقديم إلى الحديث فالاحدث.

أما المحور الثاني : فكان نقد هذه الروايات اسانيدا ومنتا ولغة مع استخلاص للنتائج في ضوءها ، وان كانت هذه النتائج مخالفة لما جاءت به دراسات تناولت

الموضوع ومن أشار إليها كل من د. صالح الاشتر⁽¹⁾، واحمد أحمد بدوي⁽²⁾، د.شوقي ضيف⁽³⁾ ، د. خلف رشيد نعمان⁽⁴⁾، د. عمر فاروق الطباع⁽⁵⁾، وقد أنطوت تلك الاشارات على صحة (صحبة) البحترى لابي تمام وتتلّمذه على يديه، وصحة نسبة الوصية إلى أبي تمام في حين ذهبت هذه الدراسة إلى حقيقة مغايرة. تشكك بصحة الصحبة والوصية إلا ان ديونس أحمد السامرائي⁽⁶⁾ قد خالفهم في الرأي إذ ذهب الى ان الغموض كان يكتنف لقاء البحترى بأبي تمام كما شكك بصحة الوصية المنسوبة لابى تمام للبحترى ... وهذا ما اتفق عنده في دراستنا في المحاور القادمة .

المقدمة

أبو تمام والبحترى شاعران عربيان طائيان (عباسيان) اضافا للقصيدة العربية ملامح جديدة ، وقد شغلت صحبتهما أقلام الدارسين والباحثين . وأن من يستقري حياة الشعارين سيجد أن حياة أبي تمام تتمايز عن حياة البحترى على الرغم من عيشهما في عصر واحد.

إن العلاقة بين الشعارين لم تكن موضع عناية الباحثين ، بل انصب اهتمام النقاد والدارسين على شعر الرجلين لذا فان هذه الدراسة اخذت على عاتقها تسليط الضوء على تلك العلاقة بوصفها محورا لها.

ومن خلال النظر في تاريخ هذه العلاقة نجد أن الصولي (ت : 335هـ) هو أول من أشار إليها في كتابيه (أخبار ابي تمام) و(أخبار البحترى) ، وجاء بعده الاصبهاني (ت : 356هـ) ، ثم الامدي (ت 370هـ) وبعدهم الحصري (ت: 453هـ) وابن رشيقي القيرواني (ت: 456هـ) . لذا فإن جمع اشنتات هذه الروايات

واطالة النظر فيها يؤكد استنتاجا مفاده أن الصحبة كانت مفترضة وهي من نسج الرواة أو النساخين ، وهذا ما خرجت به هذه الدراسة الموجزة عبر محورين هما:
الأول : عرض الروايات حسب تسلسلها التاريخي أو (الزمني) منذ الاقدم فالقديم إلى الحديث فالأحدث.

أما المحور الثاني : فكان نقد هذه الروايات اسانيدا وامتنا ولغة مع استخلاص للنتائج في ضوءها ، وان كانت هذه النتائج مخالفة لما جاءت به دراسات تناولت الموضوع ومن أشار إليها كل من د. صالح الاشر¹ ، واحمد أحمد بدوي² ، د.شوقي ضيف³ ، د. خلف رشيد نعمان⁴ ، د. عمر فاروق الطباع⁵ ، وقد أنطوت تلك الاشارات على صحة (صحبة) البحري لابي تمام وتلمذه على يديه، وصحة نسبة الوصية إلى أبي تمام في حين ذهبت هذه الدراسة إلى حقيقة مغايرة. تشكك بصحة الصحبة والوصية إلا ان د.يونس أحمد السامرائي⁽⁶⁾ قد خالفهم في الرأي إذ ذهب الى ان الغموض كان يكتنف لقاء البحري بأبي تمام كما شكك بصحة الوصية المنسوبة لابي تمام للبحري ... وهذا ما اتفق عنده في دراستنا في المحاور القادمة .

المحور الأول : عرض الروايات:

1- روايتا الصولي (ت: 335) أورد روايتين هما :-
الرواية الأولى : ((حدثني أبو الحسن علي بن إسماعيل قال، قال لي البحري: أول ما رأيت أبا تمام مرة ما كنت عرفته قبلها، أني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف وقد امتدحته بقصيدتي التي أولها:

أَفَاقَ صَبِّ مَن هَوَى فَأُفِيقًا ... أَوْ خَانَ عَهْدًا أَوْ أَطَاعَ شَفِيقًا؟

فأنشدته إياها، فلما أتمتها سر أبو سعيد بها وقال: أحسن الله إليك يا فتى، فقال له رجل في المجلس: هذا - أعزك الله - شعر لي، علقه هذا فسبقني به إليك، فتغير وجه أبي سعيد وقال: يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمت به إلينا، ولا

تحمل نفسك على هذا، فقلت: هذا شعر لي أعزك الله، فقال الرجل: سبحان الله يا فتى، لا تقل هذا، ثم ابتداءً فأنشد من القصيدة أبياتاً، فقال لي أبو سعيد: نحن نبلغ ما تريد، ولا تحمل نفسك على هذا فخرجت متحيراً لا أدري ما أقول، ونويت أن أسأل عن الرجل من هو؟ فما أبعدت حتى ردني أبو سعيد ثم قال: جنيت عليك فاحتمل، أتدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، فقم إليه، فقمته إليه فعانقته، ثم أقبل يقرظني ويصف شعري، وقال: إنما مزحت معك. فلزمته بعد ذلك وكثر عجبني من سرعة حفظه))⁽⁷⁾

الرواية الثانية: ((حدثني سوار بن أبي شراة قال، حدثني البحتري قال: كان أول أمري في الشعر، ونباهتي فيه، أني صرت إلى أبي تمام وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان يجلس فلا يبقى شاعر إلا قصده وعرض عليه شعره، فلما سمع شعري أقبل علي وترك سائر الناس، فلما تفرقوا قال: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت خلّة، فكتب لي إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحزق، وقال: امتدحهم، فصرت إليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول ما أصبته.

حدثني أبو عبد الله العباس بن عبد الرحيم الألويسي قال، حدثني جماعة من أهل معرة النعمان قال: ورد علينا كتاب أبي تمام للبحتري: يصل كتابي على يدي الوليد بن عبادة، وهو على بذاذته شاعر فأكرموه))⁽⁸⁾

2- روايات أبي الفرج الاصبهائي (ت: 356هـ) :

أورد ثلاث روايات:

- الرواية الأولى : ((حدثني علي بن سليمان: قال: حدثني أبو الغوث بن البحتري عن أبيه، وحدثني عمي: قال: حدثني علي بن العباس النوبختي، عن البحتري، وقد جمعت الحكايتين، وهما قريبتان: قال: أول ما رأيت أبا تمام أني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد مدحته بقصيدتي:

أفأق صب من هوى فأفأقاً أو خان عهداً أو أطاع شفيقاً؟

فسر بها أبو سعيد، وقال: أحسنت والله يا فتى وأجدت، قال: وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه، فوق كل من حضر عنده، تكاد تمس ركبته ركبته، فأقبل علي ثم قال: يا فتى، أما تستحي مني! هذا شعر لي تنتحله، وتنتشده بحضرتي! فقال له أبو سعيد: أحقاً تقول! قال: نعم، وإنما علقه مني، فسبقني به إليك، وزاد فيه، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة، حتى شككتني - علم الله - في نفسي، وبقيت متحيراً، فأقبل علي أبو سعيد، فقال: يا فتى، قد كان في قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا، فجعلت أحلف له بكل محرجة من الأيمان أن الشعر لي ما سبقني إليه أحد، ولا سمعته منه، ولا انتحلته، فلم ينفع ذلك شيئاً، وأطرق أبو سعيد، وقطع بي، حتى تمنيت أن سخت في الأرض، فقامت منكسر البال أجز رجلتي، فخرجت، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردوني، فأقبل علي الرجل، فقال: الشعر لك يا بني، والله ما قلته قط، ولا سمعته إلا منك، ولكنني ظننت أنك تهاونت بموضعي، فأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مضاهاتي ومكائرتي، حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك، ولوددت ألا تلد أبداً طائية إلا مثلك، وجعل أبو سعيد يضحك، ودعاني أبو تمام، وضمني إليه، وعانقني، وأقبل يقرظني، ولزمته بعد ذلك، وأخذت عنه، واقتديت به، هذه رواية من ذكرت)) (10)

- الرواية الثانية : ((حدثني محمد بن يحيى: قال: حدثني سوار بن أبي شراعة،

عن البحثري: قال: وحدثني أبو عبد الله الألويسي، عن علي بن يوسف، عن البحثري: قال:

كان أول أمري في الشعر ونباهتي أنني صرت إلى أبي تمام، وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، فأقبل علي، وترك سائر من حضر، فلما تفرقوا قال لي: أنت أشعر من أنشدني، فكيف بالله حالك؟ فشكوت خلة فكتب إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحدق بالشعر، وشفع لي إليهم وقال: امتدحهم، فصرت إليهم، فأكرموني بكتابه، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول مال أصبته. وقال علي بن يوسف في خبره: فكانت نسخة كتابه: " يصل

كتابي هذا على يد الوليد أبي عبادة الطائي، وهو - على بذاذته - شاعر، فأكرموه))
(10)

الرواية الثالثة: ((وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش أيضاً قال: حدثني عبد الله بن الحسين بن سند القطريلي: أن البحترى حدثه أنه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري، وقد مدحه بقصيدة، وقصده بها، فألقى عنده أبا تمام وقد أنشده قصيدة له فيه، فاستأذنه البحترى في الإنشاد وهو يومئذ حديث السن، فقال له: يا غلام أنشدني بحضرة أبي تمام؟ فقال: تأذن ويستمع، فقام، فأنشده إياها، وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحساناً فلما فرغ منها قال: أحسنت والله يا غلام، فممن أنت؟ قال: من طيئ، فطرب أبو تمام وقال: من طيئ، الحمد لله على ذلك، لوددت أن كل طائفة تلد مثلك، وقبل بين عيني، وضمه إليه وقال لعهد بن يوسف: قد جعلت له جائزتي، فأمر محمد بها، فضمت إلى مثلها، ودفعت إلى البحترى، وأعطى أبا تمام مثلها، وخص به، وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه بعده)) (11)

الرواية الرابعة: ((حدثني علي بن سليمان الأخفش: قال: حدثني أبو الغوث بن البحترى: قال: حدثني أبي: قال: قال لي أبو تمام: بلغني أن بني حميد أعطوك مالاً جليلاً فيما مدحتهم به، فأنشدني شيئاً منه، فأنشدته بعض ما قلته فيهم، فقال لي: كم أعطوك؟ فقلت: كذا وكذا، فقال: ظلموك، والله ما وفوك حقك، فلم استكثرت ما دفعوه إليك؟ والله لبيت منها خير مما أخذت، ثم أطرق قليلاً، ثم قال: لعمرى لقد استكثرت ذلك، واستكثرت ذلك، واستكثرت لك لما مات الناس وذهب الكرام، وغاضت المكارم، فكسدت سوق الأدب، أنت والله يا بني أمير الشعراء غداً بعدي، فقامت فقبلت رأسه ويديه ورجليه، وقلت له: والله لهذا القول أسر إلى قلبي وأقوى لنفسى مما وصل إلي من القوم)) (12)

3- روايتا الامدي (ت: 370هـ) :

- الرواية الأولى: ((ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري وقد دخل إليه البحترى بقصيدته التي أولها:

أفاق صبُّ من هوى فأفيقا؟

وأبو تمام حاضر، فلما أنشدها علق أبو تمام أبياتاً كثيرة منها، فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال: أيها الأمير، ما ظننت أحداً يقدم على أن يسرق شعري وينشده بحضرتي حتى اليوم، ثم اندفع ينشد ما حفظه. حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة، فبهت البحترى، ورأى أبو تمام الإنكار في وجه أبي سعيد محمد بن يوسف، فحينئذ قال له أبو تمام: أيها الأمير، والله ما الشعر إلا له، وإنه أحسن فيه الإحسان كله، وأقبل يقرظه ويصف معانيه، ويذكر محاسنه، ثم جعل يفخر باليمن، وأنهم ينبوع الشعر، ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف للبحترى (الجائزة) (13)

- الرواية الثانية: ((وقد أخبرني أنا رجلٌ من أهل الجزيرة - ويكنى أبا الوضاح، وكان عالماً بشعر أبي تمام والبحترى وأخبارهما - أن القصيدة التي سمعها أبو تمام من البحترى عند محمد ابن يوسف وكان أول اجتماعهما وتعارفهما القصيدة التي أولها:

فيم ابتدار كما الملام ولو عا؟)) (14)

4- رواية ابي اسحاق بن عليّ الحصري (ت : 453 هـ)

وصية ابي تمام للبحترى:

((وقال الوليد بن عبيد البحترى: كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أُرُومُ الشِّعْرَ، وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعٍ، وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى تَسْهِيلِ مَأْخَذِهِ، وَوَجْوهِ اقْتِضَابِهِ، حَتَّى قَصَدْتُ أبا تَمَامٍ، وَانْقَطَعَتْ فِيهِ إِلَيْهِ، وَاتَّكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ لِي: يَا أبا عُبَادَةَ؛ تَخِيرِ الْأَوْقَاتَ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهَمُومِ، صِفْرٌ مِنَ الْغُمُومِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حِظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ، وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ، وَإِنْ أَرَدْتَ التَّشْبِيحَ فَاجْعَلِ اللَّفْظَ رَشِيقًا، وَالْمَعْنَى رَقِيقًا، وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ، وَتَوَجُّعِ الْكَأْبَةِ، وَقَلْقِ الْأَشْوَاقِ، وَلَوْعَةِ الْفِرَاقِ، فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيحِ سَيِّدِ ذِي أَيَادٍ فَأَشْهَرِ مَنَاقِبَهُ، وَأَظْهَرِ مَنَاسِبَهُ، وَأَبْنُ

معالمه، وشرف مقامه؛ ونضد المعاني، واحذر المجهول منها، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الرديئة، ولتكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجساد. وإذا عارضك الضجر فأرخ نفسك، ولا تعمل شعرك إلا وأنت فارغ القلب، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه؛ فإن الشهوة نعم المعين، وجملته الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين، فما استحسن العلماء فاقصده، وما تركوه فاجتنبه، ترشد إن شاء الله))⁽¹⁵⁾

المحور الثاني : نقد الروايات:

أ- نقد سند الروايات :

مما تقدم يتضح أمامنا أربع روايات اقدمها كانت رواية الصولي ثم الاصبهاني ثم الامدي ثم الحصري ، وهذه الروايات تدور حول علاقة البحتري بابي تمام . وقد اختلفت اسانيد تلك الروايات .

وإن اعتماد الصولي في (الرواية الأولى) على راوٍ غير معروف هو (أبو الحسن عليّ بن إسماعيل) قد أضعف حقيقة صحبة البحتري لابي تمام ، وكذلك سند الاصبهاني في (روايته الأولى) الذي اعتمد على اسم مجهول هو (عمر) ، وينضم إليهما الامدي براوٍ مجهول هو (ابا الوضاح) الذي اكتفى بكنيته ، وهذا الأمر من شأنه أن يضعف تلك الروايات لاعتمادها على رواة مجهولي الهوية.

ب - نقد متن الروايات:

إذا كان المنطق اختلاف اسانيد الروايات مما يتبعه اختلاف محتويات المتن فإنه ليس من المنطق في شيء أن يختلف مضمون الرواية فتعدد الرواة لها ينبغي أن يصب في تأكيد مضمونها الواحد لا أن يكون تعدد الروايات سبيلا لتعدد المضمون وهذا مما يضعف الروايات المختلفة لعدم اتفاقها على رواية الحدث وهو واحد.

وإذا كنا نقر اختلاف سند رواية الصولي مع سند الاصبهاني لاسيما في الرواية الأولى ، فان اختلاف متن الرواية أمر طبيعي ، فلم يتفق الصولي والاصبهاني في نقطة عليها تكون فيصلا في الحكم على هذه العلاقة ألا وهي معرفة الرجلين بعضهما لبعض ، فرواية الصولي تشير إلى عدم معرفة البحتري لابي تمام وهما في مجلس ابن سعيد الثغري الذي اخبر البحتري قائلا: ((أتدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، فقم إليه))⁽¹⁶⁾ واذنا((صح ان القصيدة التي مدح بها البحتري ابا سعيد كانت في سنة 231 هجرية كما يؤرخها شارح ديوانه فمعنى هذا ان البحتري كان في الخامسة والعشرين من عمرة، وهو على هذا لم يكن أول أمره بالشعرونباهتة فيه، إذا ما علمنا انه عاجلة وهو حدث صغير ، فهو قد استوى شاعرا مهما حتى ادعى ابو تمام - وهو الشاعر الطائر الصيت ان ما انشده كان من شعرة))⁽¹⁷⁾

أما الاصفهاني فقد أكد عدم هذه المعرفة ولكن بطريقة معاكسة لرواية الصولي : إذ نجد ابا تمام لا يعرف البحتري من خلال قوله ((حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك))⁽⁶⁾.

وكلتا الروايتين لم تؤرخا مما جعل العلاقة وبدايتها موضع تأمل وشك، وإذا تجاوزنا عدم معرفة البحتري بأبي تمام ، وأبي تمام بالبحتري فإن مجلس (ابن سعيد الثغري) لم يكن مجلس تعارف بين الشعارين كما تشير الروايتان على اختلاف منطوقيهما ، وإنما هو مجلس تنازع وتنافس وإتهام بعضهما البعض في نسبة قصيدة من القصائد سواء كانت القصيدة للبحتري أم لابي تمام فإن نسبتها لابي منهما يؤكد وجودهما في ذلك المجلس غير إن ما رواه الامدي مستندا على (ابي وضاح) بان القصيدة لم تكن (قافية الروي) كما اشار إليها الصولي والاصبهاني ، بل هي (عينية) وسواء أكانت القصيدة عينية أو قافية لا يغير من الامر شيئا.

ومما يسهل توجيه الشك بل النقد إلى تلك الروايات إن مجلسا أو محفلا يتبارى فيه الشعراء - كبار الشعراء - لم يتمكن حاضروه من توثيق قصيدة يتنازع عليها اثنان ، فلو كان فعلا هنالك لقاء ، وهنالك تنازع وهنالك قصيدة لاتفقت

الروايات عليها ، فالاختلاف على القصيدة احد أسباب الشك في وجود القصيدة المزعومة حسب بل اللقاء المفترض.

- أما روايتا الصولي والاصبهاني (الثانية) فإنها تفتقر إلى ما يعزز صحتها ووجودها وذلك لعدم ذكر زمن اللقاء وتاريخه ، كما أن ابي تمام لم يكن واليا أو ذا سطوة على أهل معرة النعمان كي يتشفع للبحثري لديهم.

ومما ينسف صحة تلك الرواية هي تلك الديباجة المهنية للبحثري وقد أنطوت على اساءة مباشرة لشخصه حينما ذكرت عبارة ((وهو - على بذاتته - شاعر فأكرموه))⁽⁷⁾. فهل يُعقل أن يرتضي البحثري بحمل رسالة تؤكد رثائته؟!، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هل يعقل أن أبا تمام الشاعر الذواقة صانع العقود الشعرية أن يتكلم بلغة تحط من قدر صاحبه؟! . فضلا عن أن الكتاب الاستعطافي لابي تمام لم يتضمن أية إشارة لمنزلة البحثري أو وجود علامة صحبة معه.

ولهذا فإن القراءة المتأنية لمضمون هذا (الكتاب) يؤكد انتحاله وهو من نسج أنامل ماهرة احترفت نسج الروايات الأدبية وهي تنتصر لابي تمام عبر الحط من شأن البحثري ، فليس معقولا أن يحمل البحثري رسالة إلى قوم لم يعرفهم من قبل تتضمن إشارة إلى (بذاتته) وهي صادرة عن شاعر هو المثل الأعلى له في الصحبة والأدب كما يزعمون.

فانطوت هذه (الوساطة) على اساءة للبحثري بمدح زائف لشاعريته وإذا كان البحثري يمتلك هذه الشاعرية وتلك الموهبة لما لا يستطيع أن يظهر بمظهر يبغده عن البذاذة وهو يجالس الامراء والخلفاء والقادة ويقصد قصورهم ، فان اضطراب هذه الرسالة وتناقض مضامينها ربما تكون أحد أسباب الشك فيها.

- أما رواية الاصبهاني (الثالثة) فلم يشر إليها الصولي إلى جانب تلك الروايتين، ويتضح من خلالها التباين والتضارب عما سبقها من الروايات التي اظهرت الشاعرين وهما يتنازعان في مجلس (محمّد بن يوسف الثغري) على قصيدة ، فان هذه الرواية تظهر ابا تمام . وهو فرح بانشاد البحثري في ذلك المجلس ، كما أن

إجابات البحتري في هذه الرواية تنم عن تحدي لابي تمام حينما قال للأمير : ((
تأذن ويستمع))⁽⁸⁾، ويقصد يأذن الأمير ويستمع أبو تمام.

ويبدو أن أغلب الروايات التي يرويها (الاصبهاني) عن تلك الصحبة لا
تخلو من عنصر المبالغة والتكلف لاسيما في روايته (الرابعة) فإن تقبيل (الارجل
) لم يعرف له جذر في التراث العربي الإسلامي ، فإذا كان البحتري ينزل إلى هذه
الدرجة من الهوان أو التواضع فكيف يرتضي أبو تمام على هذا الفعل؟! فان آدابه
تتعارض وهذا الفعل.

وان ما قاله أبو تمام للبحتري ((أنت والله يا بني امير الشعراء إذا بعدي))⁽⁹⁾،
يؤكد اعتراف ابي تمام بالبحتري واستحسانه لشعره الذي يمثل مدرسة جديدة مخالفة
لمدرسته ، فهل يعقل أن يناصر أبو تمام من يخالفه ويذهب مذهبا غير مذهبه في
الشعر؟!.

إن عدم الأخذ بالروايات المتناقلة يقوم على أساس علمي - كما أزعم - يتمثل
في أن تلك الروايات مقتضبة وتفتقر إلى الدقة والتحديد ، ولم تجب على سؤال متى
، وأين ؟ ولعل اهتمام الرواة بهذه الصحبة بين أبي تمام والبحتري قد جاء استجابة
لرغبة في إظهار العصر العباسي بمظهر جديد يخالف ما الفتة الذهنية العربية ومما
شهده العصر الأموي من منازعات ومناقضات ومنافرات كالتي كانت بين جرير
والفرزدق مثلا . فبدل (المناقضات) في ذلك العصر جاءت (التوافقات) بين
شاعرين وهو توافق من نسج خيال الرواة فلكل منها منهجه ورؤاه ومنحاه⁽¹⁰⁾.

وإذا كنا قد أيقنا بوجود (المناقضات) بين جرير والفرزدق التي عجت بها
كتب الأدب ، فان الشعر كان هو الوثيقة التي جسدت تلك النقائص ، والحال مختلفة
في صحبة البحتري لابي تمام، فقد صمت الشعر ولم ينطق أي ديوان شعري في
تلك الحقبة عن تلك الصحبة أو التلمذة بما في ذلك ديوانا الشاعرين أنفسهما ، ويرى
د. يونس السامرائي ((إن العلاقة بينهما لم تصل الى علاقة الطالب بالاستاذ ، وان
كل مافي الامر - اذا صح - انهما اجتمعا وتعارفا وفرض كل منهما الآخر ، وبقيتا

على علاقة حسنة ، ويعضد هذا الرأي اختلاف الشعارين في خصائصهما الفنية واتجاهاتهما الشعرية ((⁽²¹⁾)

وإذا أخذنا ما قاله الامدي في هذا الصدد ((أما الصحبة فما صحبه ولا تلمذ له ، ولا روى ذلك أحد عنه ، ولا نقله ، ولا رأى قط أنه محتاج إليه))⁽²²⁾ ، فهذا دليل واضح على نفي الصحبة أو التلمذة على يدي ابي تمام جاعلا من قصيدته التي كان مطلعها : (أفاق حب من هوى فأفيقا؟) دليلا على ارتفاع كلمة البحترى الشعرية وعدم حاجته لمثل هذه التلمذة إذ يقول الامدي ((من يقول هذه القصيدة التي هي من عين الشعر وفاخر كلامه، وهو لا يعرف أبا تمام إلا أن يكون بالخبر، يستغنى عن أن يصحبه أو يتلمذ له أو لغيره في الشعر))⁽²⁵⁾.

إن قضية صحبة البحترى لابي تمام قد اشترك في تصويرها الرواة والنساخون بما اضافوا إليها من أخبار لاسيما إخبار الصولي الذي اتهم ((بالتعصب لابي تمام وهو الذي يجب ان ترفض الكثير من أحكامه بل ومن اخباره لوضوح هواه وفساد ذوقه وكثرة ادعائه))⁽¹¹⁾، وقد ترى ((لانصار البحترى حيناً ، وانصار ابي تمام حيناً اخر اصبعا في اختلاقتها ووضعها، رغبة في رفع من يتعصبون له ، ونحن... قد نشاركهم في هذا الشك)⁽²⁶⁾.

ولهذا فإن ما وصلنا من روايات حول تلك العلاقة لم يعد سوى اقاصيص أدبية حبرها كتاب مهرة ليسدوا حاجة سوق الوارقين عهد ذلك إلى مثل هذا اللون من الأدب ، وليس مستغربا نسج مثل هذه الاقاصيص في تاريخ ادبنا العربي نساج قصة قيس بن الملوح (مجنون ليلى) وقد ذهب الدكتور طه حسين إلى إنها غير واقعية ومختلفة⁽²⁷⁾

ج / نقد الوصية:

إن بعض الروايات تحمل عوامل ضعفها بداخلها سواء في اللغة التي كتبت في مضمونها وغايتها، فالوصية الموجهة من أبي تمام إلى البحترى لم ترتق إلى مستوى وصية صادرة من شاعر كبير كأبي تمام فهي عبارة عن وصايا لنظم الشعر لم تكن بعيدة عن أذهان المشتغلين بهذا الميدان ، فليس من المعقول أن تقترن هذه

الوصية بأبي تمام وهو صاحب البيان الساحر والمؤثر كما أن البحتري ليس في المستوى الذي يحتاج إلى هذه الوصية لاسيما وأن بعض الروايات تؤكد إشادة ابي تمام به بوصفه (أمير الشعراء بعده غدا) فالذي يصل إلى هذه المرحلة قد تجاوز مرحلة التعليم والمدارس للشعر ، فالبحتري هو مدرسة متفردة ومتميزة في ذلك العصر تضاهي مدرسة ابي تمام الشعرية .

ومن الغريب أن ما روي عن وصية ابي تمام للبحتري (الوصية النقدية التوجيهية) لم تذكرها المصادر المشرقية وإنما اختص بها المغاربة كالحصري ، وابن رشيق القيرواني ، وكان الأولى بالمشاركة لو كانت هذه الوصية صحيحة لتناقلتها المصادر المشرقية ووثقتها . بما يطرح تساؤلا عما استندت عليه الرواية المغربية من مصادر فهي مقطوعة السند . وهؤلاء (الحصري وابن رشيق متأخرون عن عصر البحتري وابي تمام زهاء قرن من الزمن ، في حين من اعتنى بجمع شعر الشعارين وأثارهما كالصولي والامدي مع ما بينهما من اختلاف لم يذكر (الوصية) وهما أقرب النقاد والمهتمين بالشاعرين.

إن فحوى الوصية المزعومة يشير إلى أنها موجهة لشاعر مبتدئ لا يدرك متى ينظم الشعر وكيف ينظمه ((أبا عبادة؛ تخير الأوقات وأنت قليلُ الهموم، صِفْ من الغموم، واعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيءٍ أو جفْظه في وقتِ السَّحر؛ وذلك أن النَّفسَ قد أخذتَ حظها من الراحة، وقسَّطها من النوم))⁽²⁸⁾ وقد يكون هذا مسوغا لكنه مستغرب حين يوجه لشاعر كالبحتري ، فالبحتري شاعر ذاع صيته ، وقد يكون خليفة لأبي تمام فان مخايل الموهبة وألق الإبداع اللذين اتسمت بها شخصية البحتري كان ينبغي أن تمنع أبا تمام من توجيه الوصية له ، ان كان فعلا توجد (وصية) لأبي تمام . فشاعر كالبحتري لا يحتاج إلى مثل هذه الوصية ، فالشعراء يصبحون شعراء بفضل مواهبهم وصفاء قرائحهم فضلا عن مدارس الشعر واستحياء محاسنه .

ان موضوع (الوصايا) وهو جنس أدبي حفل به تاريخ الأدب العربي من عصر ما قبل الإسلام حتى عصرنا الراهن ، له غايات تربوية⁽²⁹⁾ ودينية وسياسية كوصايا

لقمان لابنه ، والامام عليّ (عليه السلام) لولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) ولعل الشعراء

الجاهليون وشعراء صدر الإسلام وشعراء

العصر الأموي والعصر العباسي حتى كتابة هذه الوصية كانوا شعراء اغلبهم بلا وصايا وحملوا راية الشعر من امرئ القيس مرورا بعمر بن أبي ربيعة وبشار وأبي نؤاس وغيرهم ، فلم يتألق هؤلاء الشعراء تحت تأثير وصية كتبها شاعر متمرس لآخر حديث العهد بالشعر كما يزعمون ، في هذه (الوصية).

ومن الغريب ان هذه الوصية قد مرت على كثير من الدارسين والباحثين¹² □ وكأنها مسلمة من المسلمات فلم يتعرض لصحة نسبتها إلى ابي تمام احد، فان ما ذكره ابو تمام في هذه الوصية لم يلتزم به في شعره فلم يذهب فيه إلى المعاني الرقيقة والالفاظ الرشيقة ، وفيما يتعلق ((بالتشبيب فان ابا تمام لم يتفنن بالحسن إلا قليلا وحظه من صد اللوعة ضئيل))⁽³¹⁾ . فان اجواء الوصية ومقاصدها ينسجم مع منهج البحري ومنحاه الشعري وكأن مضامينها قد استخلصت من نتاج البحري وقد كتبت في مرحلة لاحقة لهذا النتاج فهي خلاصة لما هو كائن وليس وصية لما سيكون. وهذا ماذهب اليه د. يونس السامرائي بقوله ((واغلب الظن ان هذه الوصية لم تصدر عن ابي تمام لانها بعيدة كل البعد - في محتواها - عن شعره وخصائصه ، ولو كانت صادرة عنه ، لكان هو أولى من غيره بتطبيق ما جاء فيها ويخيل ألينا أنها وضعت بعد أستقراء شعر البحري ، لأنها تمثل الى حد بعيد كثيرا من خصائص شعره التي عرض بها))⁽³⁰⁾

ان اختلاف منهج الرجلين فنيا بوصفهما رأسي مدرستين توضحت معالمهما غير نتاجهما الشعري فمن المعروف ان أبا تمام يمثل مدرسة هي اميل إلى التغلغل في دقائق الفكر والأخيلة بحكم ثقافته الفلسفية لذا شاع في أشعاره الغموض والتعقيد، وهذا يخالف مبدأ السهولة والوضوح التي سار عليها البحري □⁽³³⁾ . فكيف يمكن

لنهجين شعريين مختلفين ان يلتقيا ؟ واين علامات تأثر التلميذ بخطى أستاذه ابي تمام الذي توعد له ان يكون امير الشعراء بعده غدا؟!.

وقد وقع الدكتور عمر فاروق الطباع في حيرة حين طرح مسألة تتلمذ البحتري على ابي تمام قائلا: ((ويروى أن أبا تمام وضع بين يدي البحتري مبادئ يتمشى عليها في نظم الشعر، فكيف تعلل إذا مخالفة البحتري لأستاذه ابي تمام ؟))⁽³⁴⁾ إذ لم يتمكن البحتري من مجازاة ابي تمام في ((توليد المعاني أو بالاحرى في تعقيد المعنى وتلوين الشعر بمختلف الصيغ الفكرية واصطناع الثقافة الفلسفية))⁽³⁵⁾

وقد لا نتفق مع الدكتور عمر فاروق حين يرى تأثر البحتري بصناعة أبي تمام فادخل على شعره جوانب من البديع كالطباق والجناس كما عني بالزخرفة اللفظية على نحو عام⁽³⁶⁾، ونحن نرى ان البديع وهو منحى فني قد وسم تاريخ الشاعر العربي كله فليس من العسير ان نلاحظ المحسنات البديعية لدى شعراء العربية منذ الجاهلية وحتى وقتنا الراهن وان تفاوتت مساحة البديع في قصائدهم.

الاستنتاجات:

- 1- يبدو على طرافة الموضوع وجدته فقد كان هاما في نتائجه كما أزعم ، وتتسم دراسته بشيء من الجدية نظرا للنتائج التي تمخض عنها البحث الشك بالصحة والتلمذة والوصية .وقد تكون مخالفة لما جاءت بها الدراسات السابقة التي أشرت إليها في ثنايا الدراسة
- 2- ان نفي هذه الصحة والتلمذة جاء تعزيزا لرأي (الامدي) من القدماء، و(أحمد بدوي) من المعاصرين ، وقد استند هذا الشك على ما اتصفت به الروايات من اضطراب واختلال وتناقض في أسانيدھا ومنتھا ولغتها.

3- كان خلو ديواني الشعارين من اية إشارة إلى تلك الصحبة أو التلمذة كان واحدا من أهم الأدلة على انتفاء هذه الصحبة ، فلو كان بين الشعارين تلك الصحبة والعشرة والتلمذة ، لما خلا ديوان البحتري من قصيدة (رثاء) لأبي تمام . فان دواوين الشعراء هي مرآة حياتهم ، ومجسدة لأهم الأحداث والشخصيات التي تلقي بظلالها على تلك الحياة.

4- ولعل اختلاف منهج الرجلين فنيا يأتي ضمن الأدلة التي تؤكد عدم وجود صلة (تأثير وتأثر) بينهما فهما زعيما تيارين أو مدرستين مختلفتين في الشعر العربي وان ما أشار إليه بعض الدارسين من وجود ميل لدى البحتري نحو المحسنات البديعية بوصفه متأثرا بابي تمام ، فان وجود تلك المحسنات لدى شعراء سبقوا ابا تمام زمنيا وتباعد عصريهما يؤكد إمكانية وجود هذا اللون من الصياغة الشعرية لدى البحتري أسوة بغيره من الشعراء . فان تأثر (الجواهري) بأسلوب (المتنبي) لا يعني تتلمذ الجواهري على يد المتنبي أو صحبة بين الرجلين وبينهما أكثر من عشرة قرون.

5- في كل ما قرأناه من روايات نجد أن البحتري كان مظلوما وان أغلب تلك الروايات كانت منحازة لابي الهيئة ، ذميم المظهر ، مستضعفا تابعا لأبي تمام تمام ، وذلك من خلال اظهار البحتري ذميم.

الهوامش

| ت | التفاصيل |
|----|---|
| 1 | في مقدمة تحقيقه لـ (اخبار البحتري):7. |
| 2 | ينظر: حياة البحتري وفنه:54-50. |
| 3 | ينظر العصر العباسي الثاني : ج 272/1. |
| 4 | ينظر مقدمة (شرح الصولي ديوان ابي تمام):ج21/1. |
| 5 | في مقدمة تحقيقه لـ (ديوان البحتري):ج 13-12/1. |
| 6 | ينظر البحتري في سامراء : 10-14 |
| 7 | إخبار أبي تمام:105-106. |
| 8 | نفسه:66. |
| 9 | الأغاني :ج 21 :42-41. |
| 10 | نفسه :ج 21 :40، وينظر وفيات الاعيان ج 22/1-23. |
| 11 | نفسه :ج 21 :42. |
| 12 | نفسه :ج 21 :48. |
| 13 | الموازنة بين ابي تمام والبحتري:ج 13-12/1. |
| 14 | نفسه: ج 1 :13. |
| 15 | زهر الاداب وثمر الالباب : ج 152/1، وينظر العمدة في مجلسن اهل الشعر :ج- 0 115-114/1 |
| 16 | ينظر اخبار ابي تمام:106. |
| 17 | البحتري في سامراء : 10 |
| 18 | الأغاني :ج 21 :42. |
| 19 | اخبار ابي تمام:66، وينظر الأغاني : ج 21 :40. |

| | |
|----|--|
| 20 | ينظر: الأغاني ج: 21 : 42. |
| 21 | نفسه ج: 21 : 48. |
| 22 | ينظر اتجاهات الشعر في العصر الأموي: 268 |
| 23 | البحثري في سامراء : 11 |
| 24 | الموازنة: ج 12/1. |
| 25 | نفسه: ج 1 : 12. |
| 26 | التقد المنهجي عند العرب : 103. |
| 27 | حياة البحثري وفنه: 54. |
| 28 | ينظر من تاريخ الأدب العربي: ج 506/1 - 507. |
| 29 | زهر الآداب ج: 152/1. |
| 30 | ينظر جواهر الأدب : ج 161/2 - 190. |
| 31 | ينظر النثر الفني في القرن الرابع : ج 22 / 1. |
| 32 | أحمد شوقي : 11. |
| 33 | البحثري في سامراء : 12-13 |
| 34 | ينظر العصر العباسي الثاني : 287- 288. |
| 35 | مقدمة ديوان البحثري: ج 31/1 - 32. |
| 36 | نفسه ج: 32/1. |
| 37 | ينظر نفسه : ج 32/1. |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |

فهرست المصادر والمراجع

| ت | المصادر |
|----|---|
| 1 | اتجاهات الشعر في العصر الأموي، د. صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مطبعة المدني ، ط1، 1986م. |
| 2 | أحمد شوقي ، بقلم د. زكي مبارك، تقديم: كريمة زكي مبارك ، دار الجيل ، بيروت 1988/1408م. |
| 3 | إخبار ابي تمام ، لابي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت: 335هـ) ، بقلم: أحمد أمين ، (د. ط) ، (د.ت) |
| 4 | إخبار البحتري ، للصولي (ت: 335هـ وبآخرها ذيل الاخبار من رواية الصولي ، تح: د. صالح الاشر، ط2، 1384-1964. |
| 5 | البحثري في سامراء ، يونس أحمد السامرائي /مطبعة الارشاد ، بغداد 1970/ . |
| 6 | الأغاني ، لابي الفرج الاصبهاني (ت: 356هـ) ، ج:21، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، ومحمود محمد غنيم ، اشراف أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة مجال للطباعة والنشر ، بيروت. |
| 7 | جواهر الأدب في (ادبيات وانشاء لغة العرب) ، السيد أحمد الهاشمي، ج:1-2 ، (د. ط) ، (د. ت). |
| 8 | حياة البحتري ، أحمد احمد بدوي . |
| 9 | ديوان البحتري ، تح: د. عمر فاروق الطباع، ج 1، شركة دار الارقم للطباعة والنشر ، لبنان . |
| 10 | زهر الآداب وثمر الالباب ، لابي اسحاق إبراهيم بن عليّ الحصري القيرواني (453هـ) ، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم د. زكي مبارك ، ج1-2، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط4، بيروت. |

| | |
|----|--|
| 11 | شرح الصولي لديوان ابي تمام ، د. خلف رشيد نعمان ، ج1، وزارة الإعلام ، ط1، العراق . |
| 12 | العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف ، مكتب الوطن للطباعة والترجمة ، ط2، بغداد . |
| 13 | العمدة في محاسن اهل الشعر وادابة ونقده ، ابن رشيق القيرواني (456هـ) (، تح: محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ط3 ، (د.ت). |
| 14 | من تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي والعصر الإسلامي) د. طه حسين ، ج 1، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1970، 1. |
| 15 | الموازنة بين ابي تمام والبحثري ، لبشر بن يحيى الامدي (370هـ) تح: محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ط3، 1378هـ - 1959م. |
| 16 | النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك ، ج1-2، دار الجيل ، بيروت ، 1975. |
| 17 | النقد المنهجي عند العرب (ومنهج البحث في الأدب واللغة) ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، (د.ت). |
| 18 | وفيات الاعيان وانباء الزمان ، لعهد بن ابي بكر بن خلكان (تـ 681هـ) ، تح: د. إحسان عباس، ج 2، دار الثقافة ، لبنان (د.ت). |
